



## الفلسفة ثانية باك

مفهوم الواجب (المحور الثاني : الوعي الأخلاقي)

الأستاذ : حسن شدادي

### الفهرس

I- الإشكالية

II- الموقف الفلسفي 1 : جون جاك روسو

1-1/ النص الفلسفي

1-2/ الأسئلة

2-3/ التصور الفلسفي

III- الموقف الفلسفي 2 : فريدريك نيتше

3-1/ النص الفلسفي

3-2/ الأسئلة

3-3/ التصور الفلسفي

IV- الموقف الفلسفي 3 : سigmوند فرويد

4-1/ النص الفلسفي

4-2/ الأسئلة

4-3/ التصور الفلسفي

V- تركيب

I- الإشكالية

تقوم الأخلاق على الوعي كقدرة على التمييز بين الخير والشر، حيث يبدو الوعي أو الضمير الأخلاقي كأحساس د\_axiologique أو صوت ينطلق من أعماق الذات للقيام بالواجبات.

ولهذا فمفهوم الواجب يرتبط أشد الارتباط بمفهوم الضمير الأخلاقي، والذي يدل من المنظور السيكولوجي على الوعي، ومن المنظور الأخلاقي على الضمير.

نجد هناك تأكيداً وتلازماً بين الوعي والضمير بحيث يفترض أحدهما الآخر، وكلاهما يرتبط بالفرد والمسؤولية الفردية، لكن الملاحظ أن الناس يختلفون في أحاسيسهم وأحكامهم الأخلاقية، وهو ما يجعلنا أمام مفارقة يمكن صياغتها في التساؤلات التالية :

- ما المقصود بالوعي الأخلاقي أو الضمير الأخلاقي ؟
- كيف يتشكل ويتمظهر على مستوى الفرد والجماعة ؟
- ما مصادر وطبيعته ؟
- هل هو فطري متصل في الإنسان أم أنه مكتسب ناشئ عن ما هو سيكولوجي وثقافة المجتمع وقيمته ؟

## II- الموقف الفلسفى 1 : جون جاك روسو

### 1-2/ النص الفلسفى

## فطريّة الضمير الأخلاقي

يوجد في أعماق النفوس البشرية مبدأ فطري<sup>1</sup> للعدالة والفضيلة، تقوم عليه، رغم مبادئنا الشخصية، أحكامنا التي نصدرها على أفعالنا وأفعال الغير فتصفيها بالخير أو الشريرة. وإنني أسمى هذا المبدأ باسم الوعي<sup>2</sup> (...) إن أفعال الوعي، أو الضمير، ليست أحكاماً بل أحاسيس. هذا، وعلى الرغم، من أن كل أفكارنا تأتينا من الخارج، فإن الأحاسيس التي بها نُقدِّر الأفكار، هي أحاسيس توجد بداخلنا، وب بواسطتها وحدها ندرك التوافق أو عدم التوافق الموجود بيننا وبين الأشياء التي علينا احترامها أو التغافر منها (...) وكيف ما كانت طبيعة علة وجودنا، فحسبها أنها عملت على حفظ وجودنا بأن منحتنا الأحاسيس المناسبة لطبيعتنا، ولا يمكن أن ننفي أنها، على الأقل، أحاسيس فطرية. إن هذه الأحاسيس، بالنسبة للفرد، هي حب الذات، والخوف من الألم والموت والرغبة في العيش السعيد. لكن، وإذا كان من غير شك أن الإنسان الاجتماعي بطبيعة، أو على الأقل، وجد ليصير كذلك، فلن يتحقق له ذلك، دون أحاسيس فطرية أخرى خاصة بنوعه. ذلك لأنه لو أخذنا بعين الاعتبار فقط الحاجة الفيزيائية<sup>3</sup>، فإن ذلك سيؤدي إلى تمزيق شتات الناس بدل التقرير بينهم. هكذا إذن، يولد دافع الضمير من النسق الأخلاقي المركب من هذه العلاقة المزدوجة: العلاقة بالذات وال العلاقة بالأشخاص. هناك فرق بين معرفة الخير ومحبته: فالإنسان ليست لديه معرفة فطرية، لكنه بمجرد ما يدرك الخير بعقله، حتى يحمله وعيه على حب هذا الخير. وهذا الإحساس هو وحده الفطري (...)

أيها الضمير! أنت أيتها الغريرة الإلهية والخالدة، وذات الصوت السماوي، والمرشدة المضمونة، لإنسان جاهل ومحدود النظر، لكنه إنسان ذكي وحر. أيها الضمير، أنت الغريرة المعصومة في تمييزها بين الخير والشر، والتي تجعل الإنسان شبيهاً بإلهه. أنت أيها الضمير من يعطي امتيازاً لطبيعة الإنسان، ويمنحك أفعاله خلُقاً. فبدونك لن أشعر في ذاتي بما يجعلني أسمو فوق مرتبة البهائم.

جون جاك روسو، إميل أو في التربية، منشورات غارني، 1961، ص: 352-355

Jean Jacques Rousseau, Emile ou de l'éducation .

### 2-2 / الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالج روسو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن روسو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة روسو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).

- استخلاص جواب روسو عن الإشكال المطروح: أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟
- أحكم على أطروحة روسو وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهننته أم أصبح متباوزاً.
- بيان طبيعة الحاجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعاً من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم ...

## 2-3/ التصور الفلسفى

يؤكد الفيلسوف الفرنسي الرومانسي جون جاك روسو أن مصدر الوعي الأخلاقي يعود إلى عمق النفس الإنسانية الخيرة كمبادئ فطرية خالدة مطبوعة في الفطرة، ومنه فأساسه فطري غريزي من خلاله يتمكن المرء من تمييز الخير عن الشر، فالإنسان خير بطبيعته وكل ما يصدر عن الطبيعة فهو خير.

وما المفاسد التي صارت جزء من طبيعته سوى سلوكيات وأفعال اكتسبها وتلقاها عن طريق المجتمع والتي حولته إلى كائن شقي، ومن ثمة فالوعي الأخلاقي هبة تجعلنا نسمو على الحيوانات على حد تعبير روسو.

وهكذا فالوعي الأخلاقي لا ينتج عن مصدر خارجي كالعادات والتقاليد الاجتماعية التي من شأنها أن تفسد الميل الخيرة في فطرة الإنسان، بل إن أساس الوعي هو الفطرة الإنسانية الخالصة الندية الخيرة.

## III- الموقف الفلسفى 2 : فريدريك نيتشه

### 3-1/ النص الفلسفى

## شقاء الموعي الأخلاقي

لكي يُكَسِّبَ المَدِينُ وَعْدَهُ بالتسديد مصداقيةً، ويمنح ضمانة لحديثه ولقدسية وعده، لكي يطبع في ضميره ضرورة التسديد باعتبار ذلك واجباً والتزاماً؛ فإنه يتلزم للدائن بموجب عقدة، في حالة عدم تسديده للدين، أن يعوضه بشيء آخر مما "يملك"، مما لا يزال تحت سيطرته، كجسده مثلاً أو زوجته أو حريته، بل وحياته (أو تحت بعض الشروط الدينية المحددة، بخلافه الأبدى)، بخلاص روحه، بل حتى براحته داخل قبره. هكذا كان في مصر حيث لم يكن الدائن يرحم جثة المدين، وقد كانت هذه الراحة تعنى لدى المصريين الشيء الكثير). كان باستطاعة الدائن أن يتلف جسد المدين ويعذبه مثلما يحلو له، لأن يقطع جزءاً يبدو له مناسباً مع أهمية الدين، وارتکازاً على هذه الطريقة في النظر إلى الأمور ظهرت باكراً في كل مكان تقديرات مضبوطة، شنيعة في دقتها أحياناً، تقديرات لها قوة القانون، بشأن مختلف أجزاء الجسم وأطرافه (...)

بدل الامتياز الذي يعوض الضرر مباشرةً (إذ بدل تعويض مالي أو عقاري أو بملكية ما) يعطي الدائن نوعاً من الإرضاً على سبيل التسديد والتعويض وهو ممارسة لسلطته في أمن وأمان على مخلوق أصبح عاجزاً، وكذلك شهوة الإيذاء حباً في الإيذاء والاستمتاع بممارسة العنف (... ) وبفضل "العقاب الموجه" للمدين ينال الدائن حظه من حق السادة<sup>2</sup> ، ذلك أنه يشعر في نهاية المطاف بذلك الإحساس المشترف الناتج عن تمكّنه من احتقار وإهانة مخلوق ما باعتباره شيئاً أدنى منه (...)

في نطاق قانون الالتزام هذا، يمكن أصل التصورات الأخلاقية مثل "الخطأ" و"الضمير" و"الواجب" وقديسية "الواجب" ، ومثلها مثل كل شيء عظيم على هذه الأرض فقد روتها في بدايتها دماء كثيرة رداً طويلاً من الزمن. ينبغي أن نضيف أن هذا العالم من التصورات لم يفقد يوماً ما رائحة الدم والتعدّيب (حتى في الأمر المطلق الذي يقول به "كانط" نجد أثراً من القسوة).

فريدریک نیتشه، جینیالوجیا الأخلاق ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، 2006، ص: 55-56.

### 2-3 الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجـه نـيتشـه.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن نـيتشـه يجيب عنه.

2- أبني أطروحة نـيتشـه من خلال :

- تفكـيك فـقرات النـص بنـاء على الروابـط المنـطقـية.
- تحـديد وظـيفة تلك الروابـط المنـطقـية (الـعرض، الإـثـبات، النقـد ..).
- استخـلاص جـواب نـيتشـه عن الإـشكـال المـطـروح : أـهـو إـثـبات لمـوقـف سـابـق ؟ أـم عـرض لمـوقـف خـاص ؟ أـم اـنتـقاد لمـوقـف مـغـاـير ؟

3- أـستـنبـط البنـية المـفـاهـيمـية للـنص من خـلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
  - ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
  - كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3 التصور الفلسفى

الوعي الأخلاقي حسب نيتشه يجد أساسه في العلاقات التجارية الأولى بين الناس، فقد نشأ هذا الوعي في إطار علاقة تجارية بين الدائن والمدين، حيث أن هذا الأخير عجز عن أداء ما عليه من دين للأول، باعتباره واجباً عليه، فعوض له ذلك بخضوعه له وانصياعه لأوامره.

من هنا فأصل الوعي الأخلاقي، أو التصورات الأخلاقية مثل الخطأ والضمير والواجب وقدسيّة الواجب ومثلها من كل شيء عظيم على هذه الأرض، وبالتالي أصل الخير والشر، هو تلك القيم والواجبات التي وضعها الدائجون لي应收账وا بها المدينين ويصبحوا سادة عليهم.

يتبيّن إذن أن الوعي الأخلاقي ذو جذور تاريخية وتجارية، إذ أنه يجد مرتكزاته في الصراع الذي حصل بين الناس حول المصالح الاجتماعية والاقتصادية، ولذلك فالإنسان لا يلتزم بالواجبات الأخلاقية في ذاتها، كما لا تكتسي هذه الواجبات صبغة ثابتة ومطلقة، بل إنه يتلوّح النافعة المترتبة عن تلك الواجبات، مما يضفي عليها طابع النسبة والتغير.

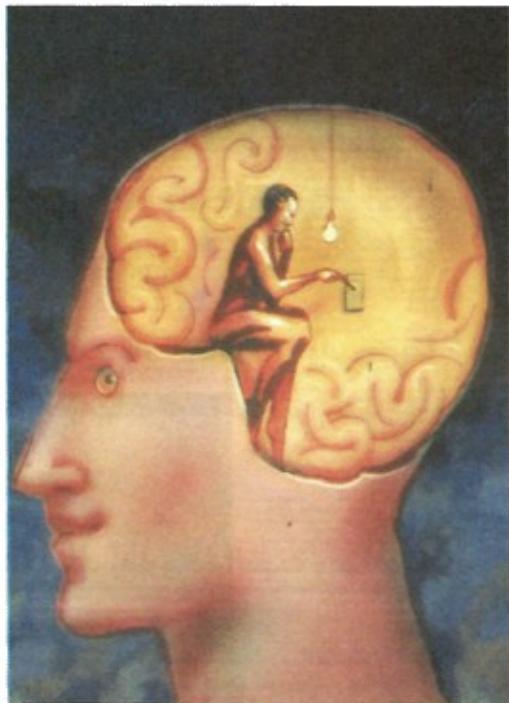
## ٧- الموقف الفلسفى ٣ : سigmوند فرويد

النص الفلسفى / 1-4

## هل الأنماط على هو الضمير الأخلاقي؟

(س. فرويد)

كانت التصورات الفلسفية والأخلاقية السابقة على التحليل النفسي تتحدث عن الضمير الأخلاقي ككيان معياري مضمر في نفوس الناس بعيداً عن أيه محددات اجتماعية أو نفسية. لكن التحليل النفسي في تحليله الثلاثي للنفس البشرية اعتبر ما نسميه بالضمير الأخلاقي جزء من البنية النفسية يتضمن ثماناً للمطالبات الأخلاقية للمجتمع واستيعاباً لمباحثاته ومحرماته. فالعنصر الأخلاقي هو جزء من النفس وهو انعكاس لقيم الجماعة وليس كياناً قبلياً مستقلاً.



Pour la science n° 302- Decembre 2002

«الأنماط على هيأة نفسية اكتشفها التحليل النفسي. والضمير الأخلاقي هو الوظيفة التي نسبها لهذه الهيأة بجانب وظائف أخرى، وتتمثل هذه الوظيفة في مراقبة أفعال ومقاصد الأنماط والحكم عليها، ممارسة على الأنماط عملية رقابة.

إن الإحساس بالذنب، وقساوة الأنماط على، وصرامة الضمير الأخلاقي، كلها شيء واحد. إن الإحساس بالذنب هو تعبير عن إدراك الأنماط لكونه خاصياً للمراقبة من طرف الأنماط على، كما أنه تعبير عن مقدار التوتر القائم بين ميولات الأنماط ومتطلبات الأنماط على، وكذلك عن القلق النفسي التي يتولد في النفس أمام هذه الهيأة النقدية التي تشمل كل علاقات الفرد. أما الشعور بالحاجة إلى العقاب فهو تعبير عن الدوافع الكامنة في الأنماط التي يصبح مازوشياً (متقبلاً للتفسير) بسبب شدة تأثير الأنماط على الذي أصبح سادياً (ممارساً للتفسير). وبعبارة أخرى فإن الأنماط يستعمل جزءاً من الطاقة النفسية الداخلية الهدامة التي هي كامنة فيه، من أجل أن إقامة علاقة شبانية أو عشقية مع الأنماط على.

لذلك يجب أن نتجدد عن ضمير أخلاقي قبل إبراز وجود دور الأنماط على. أما فيما يخص مشاعر الذنب فلا بأس من التسليم بأن هذه المشاعر موجودة قبل الأنماط على، وبالتالي فهي سابقة على الضمير الأخلاقي. مشاعر الذنب هاته هي إذن التعبير المباشر عن القلق الذي تشعر به الذات أمام السلطة الخارجية، وشاهدت على وجود توتر بين الذات وبين هذه السلطة الخارجية، وهي كذلك إحدى بقايا أو علامات وجود صراع أو أزمة بين الحاجة إلى أن يكون المرء محبوبياً من طرف هذه السلطة وبين ذلك الاندفاع نحو إشباع وتلبية حاجات الدوافع الغريزية التي يؤدي حرمانها من الإشباع إلى توليد ميل نحو العداونية.»

S. Freud, *Malaise dans la civilisation*, Paris, 1980, p. 79. (ترجمة فريق التأليف)

### 2-4 الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالج فرويد.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن فرويد يجيب عنه.

2- أبني أطروحة فرويد من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب فرويد عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

### 3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءاً من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

### 4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة روسو وأطروحة نيتше.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

## 3-4 / التصور الفلسفى

يؤكد المحلل النفسي سيموند فرويد أن الوعي الأخلاقي جزء من الجهاز النفسي، وتحدد سلطة الأنماط العليا كسلطة آمرة يتم بها تقييم الفعل الإنساني.

الأنماط العليا هيئه تمارس الرقابة عبر آليتين (العقاب والثواب) على أفعال ومقاصد الأنماط والحكم عليها، فنمو الوعي الأخلاقي يظهر بالإحساس بالذنب ومختلف إشكال التوتر والقلق التي تتولد نتيجة التعارض القائم بين متطلبات الأنماط العليا ومتطلبات الأنماط المدفوعة من الهوى، فبمجرد تفكير الأنماط القيام بأي سلوك يتنافى مع القيم الأخلاقية يشعر الفرد بالتوتر والقلق والإحساس بالذنب، وهو تعبير عن إدراك الأنماط معارضتها لمعايير الذات الأخلاقية المثلية.

ومنه فالضمير الأخلاقي حسب فرويد مكتسب تفرضه سلطة خارجية متمثلة في أوامر ونواهي الأنماط العليا، هذه الهيئة التي تعمل على تحقيق التوازن والإنسجام بين القيم والمبادئ من جهة، وبين الأهواء والرغبات من جهة ثانية، مع مراعاة مدى توافقها مع مبدأ الواقع.

## 7- تركيب

تأسيساً على ما سبق يمكن القول إن الأطروحات التي تناولت إشكالية الضمير الأخلاقي تقدم كل واحدة منها جانباً من جوانبه المختلفة، فهو قد يكون حسب روسو إحساساً داخلياً متصلًا في الطبيعة الإنسانية، أي فطرياً وأزلياً وحالداً وصائباً على الدوام، في المقابل يعتبر التحليل النفسي مع سيموند فرويد بأنه جزء لا يتجزأ من البنية النفسية، فالعنصر الأخلاقي هو جزء من النفس وهو انعكاس لقيم الجماعة وليس كياناً قبلياً مستقلاً، في حين يراه نيتشه مثله مثل كل شيء عظيم على هذه الأرض، قد روتة في بدايته دماء كثيرة ردوا طويلاً من الزمن، فهو ليس إلا معاناة نمارسها وكأننا بذلك نؤدي ديناً، ونشعر باللذة النهائية عند آدائه.